ولشنفرى في وصف طيرانهِ ما ينطبق على قول ابن سيده وريشاردسن وترسترام قال

ولا خرق هيقٍ كأنَّ فؤادهُ يظلُّ بهِ المكّاءُ يعلو ويسفلُ

فهذا التصعيد والهبوط لا تراهُ في مصّاص المعز بل في القنبرة والهدهد والسنونو وما اشبه

وجاء في حاشية الدكتور جورج يعقوب على عجائب المخلوقات ان بعضهم فسَّر المكاء بمصاص المعز والبعض بالقنبرة السماة Certhilauda desorterum [1]

ومحصَّل ما تقدَّم ان المكاء طائر من القنابر لهُ تصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر صفيراً حسناً. لونهُ ضارب الى ابياض لكنهُ اخرج الجناحين اي فيهما بياضٌ وسواد لذلك سمي بالاخرج ايضاً . وهو يبني الخوصاً (عشّاً على الارض) من العوسج

اما السبد اي مصاص المعز فمخالف لهُ تمام المخالفة فهو من طيور الليل لا تصعيد لهُ وهبوط كالقنابر او الهداهد ولا هو حسن الصوت ولا لونهُ ابيض ولا هو اخرج الجناحين ولا يبني الخصوصاً من العوسج او غيره بل يلقي بيضهُ على الارض لا في حفرٍ كالالخوص ولا في عش كغيره من الطيور وكل ذلك يتضح من مراجعة وصفهِ في كتب الحيوان

الدكتور امين المعلوف

المقرن

او ملتقى البحرين

شاهدتُ في الخرطوم أعجبَ منظرٍ فيهِ أطلتُ تأملي وتفكري
ما عشتُ لا أنساهُ بل يبقى لهُ يحلو على مرِّ الزمانِ تذكري
ويسرني اني على القراء ما شاهدت اعرض وصفهُ واقولُ

من نحو خمس سنين ألزمني السفر لزيارة الخرطوم امرٌ لي صدر
لوردتها وصدرتُ عنها نائلا ما شئتهُ وحمدتُ وردي والصدر
ويرحتها ولها اشتياقي كلما ذُكرتْ يدور بخاطري ويجولُ

(1) Dr. Georg Jacob. Arab. Geographen, 123.

لم ابقَ فيها غير بضعة اشهرٍ ... وودتُ لو سمح الزمانُ بأكثر
لكنَّ ذا الوقتَ القصيرَ قضيتهُ ... في خيرِ ما عنها يرواهُ مخبري
فوجدتهُ محضَ الصوابِ تكلما ... ما شابَ صحةَ قولهِ تدجيلُ

جوَّلتُ فيها ما اردتُ تمتعاً ... نظري بها لشؤونها مستطلعا
فرأيت الوزرَ الحضارة فوقها ... أجلى من الصبحِ المنيرِ واسطعا
وعلى مرابعها السلام مخيما ... والامنُ يمتعُ روقهُ ويطولُ

هذا بمقلة حائرٍ متعجبٍ ... ابصرتهُ فنفى ارتيابًا حفَّ بي
ولأمرِ درمان ابتغيت زيارة ... اقضي بها مما أشاهدُ مأربي
واليك مجمل ما رأيتُ واقفا ... تفصيلهُ مالي اليهِ سبيلُ

كحل الرقادِ مسحتهُ عن ناظري ... وبكرتُ في يومٍ بكور الزاجرِ
وركبتُ مع غيري القطار فقلنا ... وغدا بنا يجري كعدو الطائرِ
حتى اتى جرفًا عليهِ تحطما ... فيهِ الوقوف كأنهُ مفلولُ

فهبطت منهُ الليلَ ضفتهُ الى ... حيث «المعدية» استوت مستجملا
كانت هناك ممدةً لركوب من ... يبغي الى نصر الخليفة موصلا
فدخلتها وعلوت فيها سلما ... ووقفت أطلق ناظري وأجيلُ

سرَّحتهُ فاذا ضحى من خدرها ... قد اسفرت مفترَّة عن ثغرها
وتدفقت انوارها فتمزقت ... بشعاعها سحبُ الظلام بأسرها
والكونُ اصبح كلهُ متبسما ... ثملاً بصهباء السرورِ يميلُ

والوحش يطفر والطيور تزقزق ... والدوح يرقص والغصون تصفقُ
وعلى الجيوب تهب انفاس الصبا ... فتخالها مسكاً فتيقاً يعبق
والورد بالزهر البديع تحتما ... وعليهِ من قطر الندى اكليلُ

والأزرقُ الجاري يريكَ غرائبٍ ... ذوباً من الفيروز لونَ سمائهِ
تحكي عذوبتهُ الشهادَ وما لهُ ... من مشبهٍ بنقائهِ وصفائهِ

يجري صحيحاً والنسيمُ مسلّطٌ أبداً يهبّ عليهِ وهو عليلُ

اذ ذاكَ نبهني صفيرُ الباخره فنظرتها واذا بنا في ماخره
جاش البخارُ بجوفها وتصاعدت زفراتها فوقَ الميامِ الزاخره
وجرت بنا غرباً تشقّ البحرَ ما وتكرّ فوق عبابهِ وتصولُ

واذا بهذا الازرقِ الفضفاضِ بال بحرِ الخضمِّ الابيضِ الطامي اتصل
وسمعتُ صوتاً من ورائي صارخاً « ذا مجمع البحرين فانظر بالعجل »
فنظرتهُ متفرساً متوسّماً وحلا لي التشبيهُ والتمثيلُ

شبهتُ ابيضهُ بجوّابِ حضر بعد الغيابِ وعاد من اقصى السفر
فاغبرّ من وعث المسيرِ وطولهِ واكدرّ حتى ابيضّ من فرط الكدر
ولذاكَ لاحَ مقطباً متجهما وبدت عليهِ مخافة وخجول

والازرقُ الصافي حكى بنقائهِ قلبَ الوفيّ بودهِ وولائهِ
حصباؤهُ درٌّ واما ماؤهُ فذابُ فيروزٍ على حصبائهِ
وبنهلةٍ من مائهِ تلقى الفما ريّان لا يقوى عليهِ غليلُ

هذا المكانُ لهُ يقالُ المقرنُ إذ فيهِ للبحرين ملتقى ابنُ
جمعتهما الاقدار فيهِ وكان في الـ ـحسبان ان حصولهُ لا يمكنُ
مثل الشقيقين اللذين عليهما لا يستحيل الى التقاء وصول

وكأنني بهما غداة تقابلا وتلاقيا فيهِ ولم يتواصلا
رجلان من اهل الفرنجة لم يكن من قبل بينهما التعارفُ حاصلا
توقفا عندهُ وكلٌّ منهما لم يبدُ منهُ على القبولِ دليلُ

سارا معاً وكلاهما متجنبٌ لرفيقهِ خطواتهِ متوقبُ
تلقاهُ يرمقهُ بعينِ محاذرٍ متفحص لكنّ لهُ لا يقربُ
حتى يرى بعد المسيرِ وبعدما ان التعارف صالحٌ مقبولُ

فيميل حينئذٍ اليهِ ويبسط كفّ السلام والتعارف ينشطُ

حتى ترى الرجلين صارا واحداً ... في كل ما فيه التمازجُ يضبطُ
عقدا اتفاقاً لا يحلُّ وابرما ... عقداً على الاخلاص ليس يحولُ

او عاشقان تلاقيا في موعد ... لشكاية الشوق المقيم المتعبِ
لكنما خوفَ الرقيب ولهيبا ... او لالتقاء السامع المتعمدِ
سكتا عن الشكوى كان قد ألجما ... وعليهما سترا الجوى مسدولُ

حتى اذا عينَ الرقيب تجنبا ... وعلى حياتهما الشديد تغلبا
باحا بشكوى عذبة وتطارحا ... عتباً الذَّ على الفؤاد واعذبا
وغدا ائتلافهما وثيقاً محكماً ... لانقض يعروهُ ولا تبديلُ

وكذلك البحران حين تلاقيا ... ما انفكَّ بينهما التقاطع باديا
هذا على حدقٍ جرى وبلصقهِ ... ذاك استقلَّ بجريهِ متفاديا
فرأيت للبحرين خطاً معدلا ... وكلاهما عن جاره مفصولُ

من بعد ما جريا على هذا النمط ... ميلاً وهذا لم يمازج ذاك قط
جذبهما نحو التآلف قوة ... فاندس ذاك بباء هذا واختلط
وتمثل البحران بحراً اعظما ... اياهُ نعني اذ نقول النيلُ

هذا الذي مصرُ العزيزة ترفدُ ... بمياهِ وهو تعيش وتوجدُ
يرويه اراضيها ويسقي زرعها ... وبفيضهِ يغني البلاد ويسعدُ
و« بطميهِ » في كل عام اذ طما ... تزكو النخلال ويخصب المحصولُ

ومناوز السودان تأكل قطرةً ... تطفي بها من حرظم زفرةً
فيصد عنها وهو يعلو ظهرها ... ويردها فتأى تردُّ حسرةً
« كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمولُ »

مصر القاهرة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٩ اسعد داغر